العظم المغروز في الحنجرة

باتون في أرضنا

■ الجليل اغلبية فلسطينية تهدّد الكيان الصهيوني
■ تبني قضايا اهل الجليل والدفاع عنها ضرورة وطنية ملحة
■ المد الوطني في الجليل تعميق للهوية الفلسطينية

عقب الدكتور يسرائيل كينج ، صاحب وثيقة كينج الشهيرة، واحد عتاة الصهاينة ، على بناء بعض البيوت الفلسطينية بشكل ((غير شرعي)) في الجليل ، اي بدون الحصول على تصاريح رسمية بالبناء ، فوصف تلك البيوت بانها ((كالعظم المغروز في الحنجرة)) .

تتبع اهمية هذا الوصف من كونه لا ينحصر في عدة بيوت فلسطينية مغروزة كالعظم في الحنجرة الصهيونية ، بل يتسع كي يشمل مشروعا صهيونيا برمته ، يصطدم بالوجود الفلسطيني ويعمل ما وسعته الحيلة للقضاء عليه ، لانه نقيضه المباشر ، والتجسيد المادي لفشل طموحاته واوهامه في تهويد الارض والعمل ، لا سيما داخل فلسطين ، يدعم من مصداقية هذه الحقيقة وعلميتها ما تبديه الدوائر الصهيونية من اهتمام غير عادي بمسالة الجليل ، وما يظهره ((الصهاينة الاتقياء)) من خوف يعتمد ظاهرة تعاظم المد الوطني والزيادة السكانية في الجليل اساسا ماديا له ، ولعل افضل تشخيص لتلك المخاوف ما يوجزه احد الصهاينة في ((ان الجليل موجود في ((طرف العالم)) ووراء جبال الظلام)) كدليل على استقلالية الجليل واحتفاظه بهويته القومية ، ورغم انقضاء ٣٠ عاما على زرع الكيان الصهيوني ، الا ان السمة الفلسطينية للجليل لا زالت هي الغالبة .

وفي مقال له في معاريف ـ ١٩٧٨/١١/٢٤ ـ يقول اهرون دولب ((من كريات آنا من الجهة الغربية وحتى ساحل طبريا من الجهة الشرقية يمتد امامك شريط اقليمي خال من اليهود ، والطريق الذي يصل بين الطرفين اليهوديين ، كريات آنا من جهة والمجدل من جهة اخرى ، مزروع من كلا جانبيه بالقرى العربية الكبيرة الماهولة بازدحام يبلغ درجة الاتصال : شفا عمرو ، وعبلين ، وطمره ، وكابول ، وشعب ، وسخنين ، وعرابه ، ودير حنا ، وعيلبون والمغار)) .

((وعلى طول الممر العربي لا ترى الا مستوطنة يهودية واحدة ووحيدة هي يودفات وهي تقع في عزلة في مكان ما على الحدود المنسية لـ غوش سيجف الذي اخذ خاتم ((الديموغرافية العربية)) يزداد وثوقا حوله واحكاما ويحيطه من كل اتجاهاته . ومقاييس الحصار هي ٧٠ الف نسمة في حوالي عشر قرى عربية ووراءهم بضع عشرات من العائلات اليهودية)) .

خطر الجليل .. لماذا ؟

يشكل الفلسطينيون حوالى ١٦ بالمئة من مجموع السكان في الكيان الصهيوني ، تتركز نسبة ٦٠ بالمئة منهم في الجليل ، ومسالة الخطر الذي يمثلونه في نظر الصهاينة تتلخص في نقطتين :

اولا : الزيادة السكانية بما يهدد التوازن الديموغرافي وخطط التهويد .

أ ـ تبلغ نسبة التكاثر لدى الفلسطينيين في الجليل ٤ر٢ بالمئة وهي تلاثة اضعاف نسبة التكاثر في القطاع اليهودي وتشير التوقعات الاحصائية الى احتمال مضاعفة الفلسطينيين لعددهم وربما اكثر من المضاعفة خلال الخمس والعشرين سنة القادمة .

قبل خمسة عشر سنة كان المستوطنون اليهود يشكلون ٥٧ بالمئة من السكان في الجليل بينما شكل الفلسطينيون نسبة ٤٣ بالمئة . وفي عام ١٩٧٥ انخفضت نسبة اليهود الى ٥٢ بالمئة بينما ارتفعت لصالح الفلسطينيين الى ٤٨ بالمئة . ويشير تقرير اعده مركز البحوث الاستيطانية البلدية والريفية في رحوبوت الى ان الفلسطينيين ازدادوا في الجليل بحوالى ٤٠ بالمئة خلال السنوات العشر الماضية بينما ازداد اليهود خلال نفس الفترة بنسبة ٢٠ بالمئة فقط . ويقول التقرير ان اليهود لا يشكلون في اماكن من الجليل الاوسط اكثر من ١٠ بالمئة من السكان .

ب ـ يعتبر الجليل الغربي والذي تبلغ مساحته ٤ الاف كيلومتر مربع ، عربيا بموجب قرار التقسيم الصادر عام ١٩٤٧ ، ورغم عدم تعليقنا اهمية كبيرة على هذا الجانب الا ان دوائر صهيونية تبدي مخاوف حقيقية في حالة تغير الظروف السياسية وموازين القوى الى حد يدفع بالفلسطينيين داخل الكيان الصهيوني ليس الى شن نضال يستهدف الاطاحة بالكيان فقط بل الى المطالبة كحد ادنى بالانفصال وتشير تلك الدوائر الى ان تلك الدعوة قد تحظى بالاهتمام او التاييد لكونها تعتمد على قرارات صادقت عليها الامم المتحدة .

ج ـ يواجه الصهاينة صعوبات عديدة في محاولاتهم للاستيطان في الجليل وذلك نتيجة للموقف الحازم الذي يقفه الفلسطينيون في الجليل دفاعا عن ارضهم ، ولصعوبة الاستيطان في منطقة صخرية وشديدة الوعورة، اضافة الى الخوف من الاستيطان داخل هذا التجمع العربي ، وتشير دلائل عدة الى ان كافة مشاريع الاستيطان في الجليل لم تحقق اهدافها سواء المشروع الذي بدا عام ١٩٥٧ او المشاريع التي تلت ، بل على العكس من ذلك تسجل نسبة المستوطنين هبوطا ملحوظا .

ازاء هذا الوضع فان الهدف الصهيوني المزدوج والمتمثل في الحفاظ على التفوق العددي اليهودي وتهويد الجليل يتعرض لمخاطر عدة بسبب وقائع موضوعية مثل النسبة العالية التكاثر لدى الفلسطينيين واحجام المستوطنين عن الاقامة وسط ذلك البحر الفلسطيني .

ثانيا : تعاظم المد الوطني :

أ ـ ابرز مظاهر النضال الوطني الفلسطيني داخل الكيان الصهيوني هو الميل المتعاظم للالتصاق بالحركة الوطنية الفلسطينية ، كجزء اصيل من اجزائها في ظل وضع يشهد بروز الهوية الفلسطينية داخل فلسطين واقطار الشتات ، ولعل هذه هي ابرز المخاطر التي تحسها الدولة الصهيونية ،

ويمكن اعتبار انتفاضة يوم الارض في الثلاثين من اذار ١٩٧٦ حدا فاصلا بين مرحلتين امتاز بهما النضال الفلسطيني في الجليل وكافة المناطق التي خضعت لهيمنة الدولة الصهيونية ، فقد اتسمت المرحلة الاولى بميل الى استخدام الوسائل البرلمانية وعرائض الاحتجاج كاشكال نضالية ، بينما تمتاز المرحلة اللاحقة ببروز عديد من الاتجاهات السياسية والحركات الوطنية التي تقف موقفا جذريا من الوجود الصهيوني وتنتهي انتهاء صريحا الى الحركة الوطنية الفلسطينية ، وسبب هذه المظاهر الجديدة يرجع وبشكل اساسي الى تعاظم دور الثورة الفلسطينية الطليعي والكفاحي على راس الحركة الوطنية الفلسطينية وازدياد وزنها السياسي . وقد تمثل هذا المد بميل الى التاطر في اشكال سياسية محددة وفي لجان قطرية ومحلية مثل لجنة رؤساء المجالس المحلية العربية ، واللجنة القطرية للدفاع عن الاراضي ، ولجان الطلاب العرب في الجامعات ، وحركة ابناء البلد . كما سجل هذا المد الوطني مواقف محددة في انتخابات الكنيست في ايار ـ مايو ـ ١٩٧٧ ، وفي انتخابات السلطات المحلية في تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٧٨ وفي انتخابات لجان الطلاب العرب في الجامعات في كانون الاول ـ ديسمبر ـ ١٩٧٨ . وفي رسالتها الى المجلس الوطني الفلسطيني الاخير اعلنت الحركة الوطنية التقدمية ((ان الحركة الوطنية التقدمية باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الشعب الرازح تحت نير الاحتلال الصهيوني في كل فلسطين والذي يناضل ضد الاحتلال ببطولة نادرة لا تعترف بالكيان الصهيوني)) ، عدا الانتفاضة الوطنية الشاملة في آذار ـ مارس ـ ١٩٧٦ فان معارك المواجهة اللاحقة ، مثل انتفاضات معليا وبدو النقب وكابول تعطي لهذا المد المتعاظم اشكالا محددة وتفتح آفاق المستقبل امامه .

ابعاد المواجهة في الجليل

ستشهد المرحلة القادمة جهودا صهيونية مكثفة على صعيد الاستيطان وتدور في المرحلة الراهنة أحاديث عديدة حول ((طلائعية الاستيطان)) وحول اعتماد مبالغ مالية ضخمة مخصصة للاستيطان في الجليل ، كما ترتفع اصوات للمقارنة بين اولوية الاستيطان ، فاستيطان الجليل مسالة لها اهمية خاصة لان ((الجليل آخذ بالذهاب من ايدي اليهود والاستيطان اليهودي يتعرض للخنق بواسطة التوسع والسيطرة التدريجية من جانب العرب)) . كما أن ((زخم البناء غير الشرعي والاستيلاء المبرمج على املاك الدولة وتضييق الحصار على الاستيطان اليهودي كامر ناجم عن ذلك هي امور يفهمونها هنا في الفترة الاخيرة ليست على انها مجرد ضرورة ديموغرافية ناجمة عن التفجر السكاني فحسب بل على انها ظواهر موضوعية من ظواهر النضال الوطني الآخذ بالازدياد في حدته في قرى الجليل منذ احداث يوم الارض)) (معاريف ـ ١٩٧٨/١١/٢٤) .

على هذا الاساس فان المواجهة الصهيونية ستعتمد القمع المباشر لكافة مظاهر الحركة الوطنية ، كما ستقوم بمحاولات عديدة لمصادرة الاراضي والمنازل وبالمقابل يتوجب على الحركة الوطنية الفلسطينية وطليعتها الكفاحية المقاتلة ان تدعم صمود اهل الجليل وذلك بتمتين اواصر العلاقة الكفاحية معهم وتبني قضاياهم وتقديم اوسع اشكال الدعم المباشر وغير المباشر لهم والتضامن معهم في مواقفهم المناهضة للاستيلاء على الاراضي ومصادرتها ، من اجل المحافظة على الزخم الوطني الذي تمتاز به هذه المرحلة وتمتين هذه المعالم المفروزة في الحناجر الصهيونية ، وتحقيق اعلى حد ممكن من وحدة الحركة الوطنية الفلسطينية داخل الكيان الصهيوني واقطار الشتات .

«مجدي»

في الهدف

ممثل شرعي .. ولكن .. بدون بندقية

لم يكن احد يتصور ان يصل الوضع بالانظمة العربية الى مطالبة منظمة التحرير بالكف عن عملياتها العسكرية داخل اراضي فلسطين المحتلة ، كثمن للاعتراف بها كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني . اذ كيف يمكن ان يتخلى ممثل شعب عن الكفاح .. ويظل ممثلا له في وقت واحد ؟

ولكن هذا هو ما يحدث فعلا تحت ستار النشاط الدبلوماسي الموجه الى طرفين الاول الطرف الاميركي ، وضرورة اعترافه بحق منظمة التحرير في اسماع صوتها ، والطرف الفلسطيني وضرورة تخليه عن حق الدفاع المشروع عن النفس ، والقاء البندقية في صندوق الذكريات .

يتبلور الاتجاه الاول في حملة منسقة من اجل تجميع راي دولي يضغط باتجاه النظر بمطالب الفلسطينيين في ضوء اندراج هذه المطالب في مشروعات الحاق الفلسطينيين بهذه الدولة او تلك ، وكانهم من القصر الذين لا يستطيعون الحياة الا تحت الوصاية .

ويتبلور الاتجاه الثاني في جملة ضغط على منظمة التحرير لتكون اكثر تهذيبا فتقايض المفهوم « الانساني » المنقطع النظير بالبندقية المزعجة .

بالطبع لا احد يعارض النشاط الذي تقوم به منظمة التحرير على المستوى الدبلوماسي ، فهذا النشاط جزء من العمل باتجاه تحقيق الاهداف المشروعة والثابتة للشعب الفلسطيني ، ولكن لا احد يمكن ان يلق ببراءة الاطراف الاخرى لهذا النشاط وهم يركزون همهم على تجريد الفلسطينيين من مصدر قوتهم .. من سلاحهم الثوري الذي جعل العدو قبل الصديق يتذكرهم ، ويتذكر ان هناك قضية اغتصاب وطن في العالم المعاصر .

ولا ندري كيف يمكن أن يكون عليه الحال فيما لو كف الفلسطينيون عن الكفاح المسلح واختاروا بدلا من ذلك تكوين منظمة خيرية تنظم المظاهرات السلمية للمطالبة بحقوقهم ، ولكن الذين نعلمه جيدا هو ان اشياء كثيرة لن يكون لها ضرورة في نظر العدو الصهيوني والاميركي وفي نظر « العرب المناصلين » في سبيل « التهذيب » .. وأولها ان هناك حقوقا للشعب الفلسطيني ، وثانيها ان هناك ضرورة للضغط من اجل هذه الحقوق .. وضرورة لوجود ممثل شرعي .

لقد كانت البندقية الفلسطينية هي هدف الاعداء .. وما زالت .. فليكن واضحا ان شعبا يتخلى عن مجابهة العنف الصهيوني بالعنف الوطني ، سيكون مكانه مخيمات اللجوء ، وسيكون مصيره تحت رحمة بندقية الاعداء وبندقية المناضلين من اجل التهذيب والتحضير .

عن « الطليعة » الكويتية